الانحرافات العقدية في ضوء القصة القرآنية
دراسة في الأساليب و الأنواع

م.م. حسين على البرواري*

ملخص البحث

هذا البحث يعد إسهاماً متواضعاً في دراسة الانحرافات العقديّة في ضوء القصّة القرآنيّة، والذي يهدف إلى دراسة في الأساليب والأنواع.

وتُعَد القصّة القرآنيّة وسيلة عظيمة من وسائل القرآن الكريم التي تصبو لتحقيق الهدف الأسمى للرسالة الإلهية والتي هي تصحيح المفاهيم العقدية لدى البشرية، وتعد قضيّة الانحرافات العقديّة من أهم القضايا التي تطرقت القصّة القرآنيّة إلى طرحها ومعالجتها؛ إذ سلك القرآن الكريم نهج ترسيخ العقيدة السليمة في النفوس؛ فأكثر من استخدام القصّة في مواضع شتى باعتبارها من الأساليب المثلى والمحببة في تربية النفوس.

أخذَ الحوار في القصّة القرآنيّة مكانة بارزة، ويمكن القول بأن الحوار يشكّل المحور الرئيس والمرتكز الأساس، ولا نبالغ إذا قلنا بأنه العمود الفقري في القصّة القرآنيّة، فالمواقف الحوارية التي عرضها الكتاب العزيز شاهد على ذلك الحضور في التعبير القرآني بشكل واضح، كما لا يخفى أن كثرة ورود اللفظ الدال على الحوار المتمثل بلفظ (قال، قول) وما اشتق منه يؤكد هذا الحضور.

وهناك أنواع من الانحرافات العامة في القصّة القرآنيّة منها عقدية وفكرية وأخلاقية وسلوكية إضافة إلى الاجتماعية والنفسية وسوف يتطرق الباحث اليها والى غيرها.

abstract

This research is a modest contribution to the study of the deviations of the doctrinal in the light of the Qur'anic story, which aims to study the methods and types.

The Qur’anic story is one of the great means of the Holy Qur’an that aspires to achieve the supreme goal of the divine message, which is to correct the doctrinal concepts of mankind. The Holy Qur’an took the approach of establishing sound belief in the souls; More than using the story in various places as one of the best and popular methods of raising souls.

Dialogue has taken a prominent place in the Qur’anic story, and it can be said that dialogue constitutes the main axis and the foundation, and it is not

* بحث مستل من أطروحة دكتوراه بعنوان توظيف القصّة القرآنيّة في معالجة الإنحرافات العقديّة

exaggerated if we say that it is the backbone of the Qur'anic story. Indicative of the dialogue represented by the word (he said, saying) and what is derived from it confirms this presence.
There are types of general deviations in the Qur'anic story, including doctrinal, intellectual, moral and behavioral, as well as social and psychological, and the researcher will address them and others.
There are types of general deviations in the Qur'anic story, including doctrinal, intellectual, moral and behavioral, as well as social and psychological, and the researcher will address them and others.

المقدمة

الحمد لله المستغني عن الاستدلال عليه بما هو في وجوده مفتقر إليه، والصلاة والسلام على محمدٍ خير مَن وريت بنورٍ طينته.

أما بعد: -

إن اعظم العلوم قدراً، وأرفعها شرفاً، هو العلم الذي يتعلق بكلام الله جلّ وعلا، فإن عزة هذا الدين وأهله هو الحفاظ على كنزهم الذي لا تنقضي عجائبه، فشرف العلم بشرف المعلوم.

وضع الإسلام منظومة متسعة من القيم والمعايير، فردية كانت ام اجتماعية بحيث تتلاءم مع الفطرة الانسانية وسنن الحياة، وذلك من خلال قوله تعالى:﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] مما يجعل هذه المنظومة القِيَميَّة المعيار الذي ينبغي ان تَرُدَّ اليه المنظومات الاخرى لمعرفة مدى قربها أو بعدها من الصواب، فقد جاء هذا الموضوع نتيجة لذلك، فكان بعنوان: الانحرافات العقدية في ضوء القصّة القرآنيّة (دراسة في الأساليب والأنواع) وهو بحث مستل من أطروحة دكتوراه بعنوان توظيف القصّة القرآنيّة في معالجة الانحرافات العقديّة.

هيكل الدراسة:

استدعت طبيعة الدراسة أن تكون في مبحثين وعدة مطالب وخاتمة وعلى النحو التالي:-

المبحث الأول القصّة القرآنيّة، أهميّتها، أساليبها، فجاء المطلب الأول عن أهميّة القصّة القرآنيّة، والمطلب الثاني عن أساليب القصّة القرآنيّة، وكان المبحث الثاني بعنوان أنواع الانحرافات العامة من خلال القصّة القرآنيّة، فكان المطلب الأول عن انحرافات عقديّة وفكريّة، والمطلب الثاني الحديث عن الانحرافات الأخلاقيّة والسلوكيّة، أما المطلب الثالث فكان عن الانحرافات الاجتماعيّة والنفسيّة، والمطلب الرابع عن الانحرافات الاقتصادية والسياسيّة، وخاتمة البحث.

المبحث الأول: القصّة القرآنيّة، أهميّتها، أساليبها:

المطلب الأول: أهميّة القصّة القرآنيّة :

تأتي أهمية القصّة القرآنيّة من خلال المساحة الواسعة التي أولاها الكتاب العزيز من آيات الذكر الحكيم، بحيث لو تتبعناها لوجدنا أنها تقترب من ثلث القرآن، ويشيد الدكتور فضل عباس[١] بأهمية القصّة القرآنيّة، إذ يقول: "إن المساحة التي شغلتها القصّة القرآنيّة من كتاب الله كانت مساحة واسعة، ما نظن أن موضوعاً آخر كان له ما كان للقصّة من نصيب، فالقصص القرآني لا يقل الحيّز الذي شغله من كتاب الله تعالى عن الربع إن لم يزد قليلاً، فإذا كان القرآن ثلاثين جزءاً، فإن القصص يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من هذا الكتاب ولا تعجب من ذلك، لأن القصّة القرآنيّة لم تأتِ لتقرر هدفاً واحداً، بل إن هذا القصص كانت له أهدافه الكثيرة وغاياته المتعددة" [٢].

ولأهمية القصّة القرآنيّة فقد ساقها الباري جلّ وعلا لتأكيد القِيَم الدينيّة المتنوعة، ومحاربة الوثنية وتأصيل المبادئ الخُلُقية، فتدعو إلى العزّة النفسية والكرامة الإنسانية، كما فيها تطمين لصاحب الرسالة ومواساته في الشدائد[٣].

وللقَصص القرآني أهمية بالغة في التعرف على الأمم السابقة، وعلى جانب من حياة وسِيَر أغلب الأنبياء والمرسلين بإعتبارهم قدوة حسنة لنا ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، والتعرف على دعوتهم وما عانَوْه من أقوامهم في تبليغها، وما تعرضوا له من الإيذاء والاضطهاد ومجابهة الطغاة والمعارضين، الذين أطلق عليهم القُرآن أحيانًا بـ(الملأ)، كما جاء في سورة الأعراف، الآيات: ٦٠، ٦٦، قال الله تعالى:﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، وقوله جلّ شأنه: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦].

والملأ في كل مجتمع هُمُ السادة، وهُم مختلفون عن بقية الشعب بمكانتهم وامتيازاتهم وحقوقهم، هُم الذين يملكون ويحكمون، وهم بطبيعة الحال يشرّعون ويصدرون القوانين من عند أنفسهم، بما يحفظ

---

(١) ولد فضل حسن عباس سنة ١٩٣٢م في بلدة صفورية في فلسطين، أتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، حصل على الدكتوراه من الأزهر سنة١٩٧٢م، ومن مشايخه: محمدعبدالله دراز ومحمد يوسف موسى، ومن تلامذته: د. سليمان الدقور، ود. عبدالناصر ابو البصل، ود. جمال أبو حسان، وله مؤلفات كثيرة منها: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، إعجاز القرآن الكريم، إتقان البرهان في علوم القرآن، توفي في الأردن ٢٠١٩.

(٢) عباس، د. فضل حسن، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، (عمّان: دار الفرقان، ط ١، ١٩٨٧م): ص١٠.

(٣) ينظر: البيومي، د. محمد رجب، البيان القرآني، مجمع البحوث الإسلامية، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة الثالثة، الكتاب الواحد والثلاثون، (القاهرة: دار النصر للطباعة، ط ١، ١٩٧١م): ص٢٠٧.

سلطانهم على بقية الشعب، ويسخّرونهم لمصالحهم [١].

فعناية القرآن الكريم بعرض القَصص القرآني تُبيّن الأهميّة البالغة التي يحملها هذا الأسلوب القرآني، وهذا التأثير الكبير يستدعي الوقوف عند هذه الأهمية الكامنة في ذكر القصص القرآني للداعية وغيره كأسلوب شيّق مؤثر على النفس، لما فيها دروس وعبر بإعتباره توضيح وتبيان للكثير من المسائل، وكذلك لتوضحيح الحقائق وإزالة الشبهات، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، ومما جعل ذلك تثبيت للقلب من خلال عرض السنن والقوانين التي تتحكم في هذا الكون، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠]، [٢].

المطلب الثاني: أساليب القصّة القرآنيّة :

للقصّة القرآنيّة أساليب كثيرة ومتنوعة يود الباحث ذكرُ بعضٍ منها:

أولاً: أسلوب الحوار:

أخذَ الحوار في القصّة القرآنيّة مكانة بارزة، ويمكن القول بأن الحوار يشكّل المحور الرئيس والمرتكز الأساس، ولا نبالغ إذا قلنا بأنه العمود الفقري في القصّة القرآنيّة، فالمواقف الحوارية التي عرضها الكتاب العزيز شاهد على ذلك الحضور في التعبير القرآني بشكل واضح وكبير، كما لا يخفى ان كثرة ورود اللفظ الدال على الحوار المتمثل بلفظ (قال . قول) وما اشتق منه يؤكد هذا الحضور، فعند الرجوع الى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم يظهر أن ورود اللفظ الدال على الحوار تربو عن (١٧٠٠) مرة، وهذا بحد ذاته دليل على كثرة المواقف الحوارية التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز[٣]، فموضوع الحوار في الكتاب العزيز موضوع هام، اذ يدور أساساً على الأصول الثلاثة الآتية:

١- الإيمان بالله وأحقيته بالعبادة ووحدانيته دون غيره.
٢- الإيمان بالرسل عليهم السلام.
٣- الإيمان باليوم الآخر.

مواقف ونماذج حواريّة في القصص القرآني:

---

(١) ينظر: قطب، محمد، دراسات قرآنية، (القاهرة: دار الشروق، ط ٧، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م): ص ١٠٨.

(٢) ينظر:النعيمي، بشار شعلان عمر، الآثار العقدية لقضايا الإيمان بالله تعالى في القصص القرآني، أطروحة دكتوراه، قدمت الى كلية أصول الدين – الجامعة العراقية، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م) باشراف أ.د. شاكر محمود الهيتي، ص: ١٣وما بعدها.

(٣) ينظر: عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 662-684.

المواقف والنماذج الحواريّة التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم كثيرة، فمنها حوار الله عزَّ وجل مع الملائكة، وحواره تعالى مع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذلك حواره مع إبليس، وإضافة إلى ذلك حوار الأنبياء مع أقوامهم، وغيرها من الأمثلة الحواريّة التي ضربها الله سبحانه للاتعاظ والعبر.

فيود الباحث سرد بعض النماذج الحواريّة لتعم الفائدة:

أ: حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة :

ورد في سورة البقرة حوار بين الله جلّ وعلا وبين الملائكة، إذ يقول رب العزّة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٣].

ب: حوار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم :

لقد اصطفى الله تعالى الأنبياء والرسل من بين خلقه، وألهَمَهُم الحجة الدامغة والبراهين الساطعة والحكمة البالغة، ولا تكاد تخلو قصّة من قصص القرآن الكريم من أسلوب الحوار، وقد نقلت لنا الآيات الكريمة من سورة الأنبياء أنموذجاً من الحوار الدائر بين إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٧] (١).

ومن الحوار الرائع أيضاً ما دار بين إبراهيم عليه السلام والملك نمرود، بعدما أفحمه إبراهيم بالحجة والبراهين المقنعة، ولكن نمرود أخذته العزة بالإثم، فكابر وعاند وجادل بالباطل، وقال: أنا أحيي مَن أشاء بالعفو عنه والعطاء عليه، فينعم بالحياة بعد أن تمثَّل له شبحُ الموت، وأصرّ على عناده وأردف قائلاً وأنا كذلك أميت مَن أشاء بأمري وأقضي عليه بحُكمي، فتزهق روحه، فأجابه إبراهيم عليه السلام: إن الله سخّر الشمس وجعل لها نظاماً لاتحيد عنه، فالله تعالى يأتي بها من المشرق، فإن كنتَ كما تدّعي قديراً فغيّر هذا النظام الذي جرت عليه السنّة الالهية، وإتِ بها من

(١) ينظر: ميشيل، د. صابر ، القصّة القرآنية مفهوماً وأسلوباً، بحث منشور في مجلة الجامعة، (٢٠٠٩م)، العدد: ١١، ص: ٥١.

المغرب، فبهت الذي كفر﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] (١).

ثانياً: أسلوب التكرار:

المقصود هنا بتكرار القصّة القرآنيّة هو تكرار موضوع القصّة ومجيئها في عدة سور وإبرازها من زوايا مختلفة وذلك لتتضح رؤية الصورة أكثر فأكثر وتستبان معالمها كاملة من جميع النواحي، ففي هذا الصدد يقول الدكتور محمد حجازي: " فنحن اذا نظرنا الى القصّة في القرآن الكريم نجد أنّ القصّة الواحدة ذكرت في القرآن بعدة أساليب، وفي عدة صُوَرٍ ولكنها في كل سورة وفي كل موضع ثابتة في مكانها متناسبة مع جيرانها مؤتلفة مع الغرض الذي سيقت من أجله السورة" (٢).

فتكرار حياة أو سيرة أحد الأنبياء في عدة سور تضئ للموضوع جمالاً معرفياً حول سيرته الذاتية، واظهار جوانب متعددة من حياته الاجتماعية والدعوية.

"وقد تتكرر القصّة الواحدة في القرآن، ولكن في تكرارها فوائد، في كل منها فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارضٍ في المجموع، لأنها لمّا كانت مُنَزّلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب" (٣).

وفي مسألة تكرار القصّة في القرآن الكريم يقول سيد قطب: "ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصص القرآني، لأن القصّة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصّة، أو حلقة من قصّة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق، وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار" (٤).

فالمنهج القصصي في القرآن الكريم منهج بديع معجز، وفي ذلك يقول فضل عباس: "ذكرت القصّة في سور كثيرة، خُصّت بعض السور بذكر حدث واحد، ثم توزعت هذه المشاهد والأحداث

(١)ينظر: باحاذق، د.عمر محمد عمر، الجانب الفنّي في قصص القرآن الكريم، (بيروت: دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م): ص ٣٧.

(٢)حجازي، د. محمد محمود، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم،(القاهرة:دار الكتب الحديثة، ط ١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م): ص٦٤.

(٣)زيدان، د. عبدالكريم، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م): ٦/١.

(٤) قطب، سيد، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق، ط ١٧، ١٤١٢هـ): ٥٥/١.

على السور التي ذكرت فيها القصّة، قلَّت أم كثُرَت، بحيث تجد في كل سورة ما لا تجده في غيرها، وبحيث يذكر في كل سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها" [١].

ورد اسم النبي موسى عليه السلام مائة وست وثلاثون مرة في الكتاب العزيز وذلك في أربع وثلاثين سورة[٢] ، فلو نأخذ على سبيل المثال قصّة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون وبني إسرائيل فنجدها أكثر وروداً في القرآن، إذ وردت في ثمانٍ وعشرون[٣] سورة من سور القرآن الكريم، وفي كل كل مقطع من مقاطع السورة تظهر لدى القارئ معلومة جديدة أو فكرة جديدة عن سيرته عليه السلام، وفيما يلي بعض تلك المقاطع من سيرة موسى عليه السلام كما ورد في بعض السور:

ففي سورة القصص والتي تتحدث عن خوف والدة (موسى) عليه السلام بإلقائه في البحر بالهام الهي وذلك لأن فرعون يقتل المواليد الذكور كما هو ظاهر في الآيات من قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص: ٧-٩]، وفي سورة طه طلب موسى من ربه أن يعضده بأخيه هارون عليهما السلام، وذلك من خلال الآيات من قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي* وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٤-٣٢].

وجاء في سورة الشعراء تذكير فرعون لموسى عليه السلام بماضيه وبفضله ومنّتِهِ عليه عندما ربّاه في مَنزله كما في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨-١٩]، وقصد فرعون بهذا الكلام هو الفضل والمنَّة على (موسى) وكذلك الاحتقار؛ وذلك ذكّره بما أنعم عليه عندما كان صغيراً، ربّاه في منزله وأحسن اليه: ألستَ أنت الذي ربيناك صغيراً وأحسنّا إليك فمتى كان هذا الأمر الذي تدّعيه؟ ومكثتَ بين ظهرانينا سنين عديدة نحسنُ إليك ونرعاكَ؟ فجازيتنا على أن ربّيناك أن كفرتَ نِعمتنا وقتلتَ منا نفساً؟، ومرادُه في ذلك قتل القِبطي، وأنت من الجاحدين لإنعامنا[٤].

---

(١) عباس، د. فضل حسن، قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، ص٨١.

(٢) ينظر: عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٧٧٦-٧٧٨.

(٣) ينظر: ميو، انور احمد، قصص القرآن(دراسة في الأساليب القصصية وفوائدها)، بحث منشور في مجلة مركز الكتاب للبحوث والدراسات(الصومال: ٢٠١٩م)، ص: ١٤.

(٤) ينظر: الصّابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، (القاهرة: دار الصّابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٨٧ م): ٣٤٥/٢.

ثالثاً: أسلوب التشويق والمفاجأة :

المقصود بأسلوب التشويق جعل قارئ القصّة القرآنيّة أكثر شوقاً وابتهاجاً لتكملتها، ومعرفة ما يدور في أحداثها، ولابد من وجود أسلوب التشويق في القصّة، كي لايمل القارئ أو يضجر من تكملتها، وهذا الأسلوب يثير جلب انتباه المشاهد أو القارئ إلى ما سيحدث فيما بعد، ويترقّب إلى ذلك بشوق ولهف ليعرف ما تؤول إليه الأحداث والمَشاهْد فيما بعد من مفاجأة.

ومثال أسلوب التشويق والمفاجأة ماجاء من حياة (موسى) عليه السلام في سورة النازعات، الآيات ١٥-٢٠، قال رب العزّة: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴾ [النّازعات: ١٥-٢٠]، ومعناه: " أنّ الله تعالى أمر موسى بالذهاب إلى فرعون الذي تمرّد وتجبّرَ وعتا، وأن يقول له: هل لك أن تتطَهّر من الكفر والشرك وأُرشِدَكَ إلى معرفة الله ولزوم عبادته فتخشى، لأن الخشية لا تكون إلاّ بمعرفة الله معرفةً تقضي إلى عبادته... فأراه موسى الآيةَ الكبرى وهي قلب العصا حيّةً فكذّبَ فرعونُ بموسى وبالآية الكبرى ثم أدبرَ يسعى، أي تولّى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته" (١).

والخطاب بأسلوب الاستفهام ﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ " أُريدَ به التعجبُ ممَّا في حيزِه والتشويقُ إلى استماعِه والإشعارُ بأنَّه من الأحاديثِ البديعةِ التي حقُّها أنْ يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاةُ مِنْ كلِّ حاضِرٍ وبادٍ" (٢).

و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ هنا يُشَوّقُ الله تعالى رسوله الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم إلى سماع حديث الباري مع موسى عليه السلام ، وكذلك حديث موسى مع فرعون، ونوع هذا الاستفهام مجازي، معناه التشويق، وهذا تمهيد مثيرٌ للذهن، ومحرك للمشاعر وطاردٌ لشواغل السامع ليقبل على ما يُقال وقد صفا الذهن ووعى القلب فيتمكن المعنى في النفي كلّ تمكن(٣).

ومجيء عرش ملكة سبأ بين يدي سليمان عليه السلام في غمضة عين، مثال آخر في أسلوب المفاجأة في القصّة القرآنيّة، والذي انكرته بلقيس بعدم معرفتها في حين أنها ظلّت تجهل ولم تعرف الحقيقة، وعندما سألتها: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو! ، فهذه المفاجأة عرفنا سرها – لأن القرآن الكريم ذكره لنا سلفاً–، ولكن المفاجأة التي ظلّت خافية علينا وعليها، حتى فوجئنا بسرّها معاً، هو الصرح الممرد من قوارير، ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً

(١) زيدان. د. عبدالكريم، المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، ٣٢٤/١.

(٢)العمّادي، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.ط): ١٤٨/٩.

(٣) ينظر:المطعني، د.عبدالعظيم ابراهيم، التفسير البلاغي للإستفهام في القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ٢، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م): ص ٣٣٩-٣٤٢.

وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النّمل: ٤٤] (١).

عندما قال سُليمان عليه السّلام لملكة سبأ: أهكذا عرشك؟ أي: أمِثلُ هذا العرش الذي تَرَينِهِ الآن، عرشُكِ الذي تركتيهِ وراءكِ في بلادِكِ ؟ ولا شك أنّ هذا السؤال تدعوها للريبة والدهشة والمفاجأة بما لم يكن في حُسبانها، وإلاّ فأينَ هي من عَرشِها الذي تركتهُ وراءها في بلاد اليمن على مسافة بعيدة، تقدّر بعدة الآلاف من الأميال(٢).

وكذلك أسلوب المفاجأة في قصّة إبني آدم: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ، فيتوَعّدُ قابيلُ أخاهُ هابيلَ بالقتلِ، ولكنّ هابيل يعرضُ عن أخيه قابيل بتفويضِ أمره لله: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٨]، وهنا تظهر المفاجأة وهو قتل قابيل أخاهُ هابيلَ ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠]، والمفاجأة الأخرى عدم معرفة قابيل كيفية مواراة سوأة أخيه، فيظهر غراب وهو يبحث في الأرض ويعلّمه كيف يوارى سوأة أخيه: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣١]، (٣).

رابعاً: أسلوب الترغيب والترهيب :

عند النظر إلى القصّة القرآنيّة نجدها عامرة بأسلوب الترغيب والترهيب، فلا تكاد قصّة في الكتاب العزيز الاّ وفيها ترغيب يبعث الأمل والرجاء، أو ترهيب يثير الخوف والإنذار.

فالمقصود بالترغيب هو:" كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثّبات عليه" (٤)، وأما ما يقصد بالترهيب فهو: " كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله" (٥)، قال فضل عبّاس: " الترغيب بالتأييد في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة للمؤمن الطائع، والترهيب من غضب الله وعذابه في الدنيا والآخرة للجاحد العاصي، وذلك خلال عرض أمثلة لتأييد الله عباده المؤمنين وعقوبته للجاحدين في الدنيا، كقصّة إنجاء الله تعالى

(١) ينظر: باحاذق، د. عمر محمد عمر، الجانب الفنّي في قصص القرآن الكريم، ص ٩٢.

(٢) ينظر: طنطاوي، د. محمد سيد، القصة في القرآن الكريم، ٧٥/٢ .

(٣) ينظر: باحاذق، د. عمر محمد عمر، الجانب الفنّي في قصص القرآن الكريم، ص ٩٤.

(٤) زيدان، د. عبدالكريم، أصول الدعوة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٩، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م): ص ٤٣٧.

(٥) زيدان، د. عبدالكريم، المصدر نفسه: ص ٤٣٧.

موسى عليه السلام والذين آمنوا معه من بطش فرعون وجنوده، وإغراق فرعون وجنوده في اليّم، وإنجاء الله لوطاً عليه السلام وأهله إلاّ امرأته وإهلاك قومه" (١).

وهنا نأتِ بمثال عن الترغيب الذي ورد في سورة نوح؛ والذي وعد نوح عليه السلام قومه بالخيرات الكثيرة المتعددة التي سيغدقها الله تعالى عليهم من أموال وبنين وأمطار غزيرة تستفيد منها زرعهم وتخصب بها أرضهم، وتنبت جراء هذا المطر النازل جنائنهم وبساتينهم؛ هذا كله إذا هُم استغفروا الله وآمنوا بنبوته عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢] (٢).

والمثال الدال على الترهيب ما جاء في سورة الصّف، قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصّف: ٢-٣]، فالآية الكريمة هنا تشير إلى التمسّك قولاً وعملاً، لأن الأمر عند الله عظيم جداً بأن يخالفَ القول العملَ، وفي تفسيرها يقول السعدي: " أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به، فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ " (٣).

المبحث الثاني: أنواع الانحرافات العامة من خلال القصّة القرآنيّة :

يشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب:

لاحَظَ الباحثُ من خلال دراسته للقصّة القرآنيّة، أن هناك عدداً من الانحرافات التي وردت في القصّة القرآنيّة اتجهت أكثر من منحىً، فمثلاً النفاق يمكن وصفه انحرافاً عقدياً واجتماعياً ونفسياً وأخلاقياً، وكذلك ما صدر من أخوة يوسف عليه السلام من حسدٍ على أخيهم، حينما بذلوا جهداً في سبيل إبعاده عن أنظار أبيهم لتخلوَ لهم الأجواء، فهذا الحسد من دواعي وأسباب الانحراف، ولكن سيتم الحديث عنه من زاوية أخرى من زوايا الانحراف الذي هو أقرب للقصّة التي تناسبها.

المطلب الأول: انحرافات عقديّة وفكريّة :

ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم انحرافات عقديّة وفكريّة كثيرة من خلال القصّة القرآنيّة، يرغب الباحث ذكر نماذج منها.

---

(١) عباس، د. فضل حسن، محاضرات في علوم القرآن، ص٣٠٩-٣١٠.

(٢) ينظر:التهامي، نقرة، سيكولوجية القصّة في القرآن، (تونس: الشركة التونسية للتوزيع، نشرت ضمن منشورات الرسائل الجامعية، الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، ١٩٧١ م): ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٣) السّعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م):ص٨٥٨.

وقبل التطرق إلى تلك النماذج من المفيد التعريف بالعقيدة لغة واصطلاحاً والتفريق بينها وبين الفِكر:

أولاً: العقيدة لغة:قال ابن فارس: العَيْنُ والقافُ والدَّالُ أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على شَدٍّ وشِدَّةِ وُثُوقٍ، وإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ البابِ كُلُّهَا(١).

والعقيدة مصدر مِن اعتَقَد يعتقدُ اعتقادًا، والعَقْد مفرد، وجَمْعُه عقائد وعُقودٌ، وهو نَقِيضُ الحَلِّ؛ ووزنه فعيلة بمعنى مفعولة، كقتيلة بمعنى مقتولة، وقد شاع مجيء المصدر بمعنى المفعول في اللّغة العربية، قال جلّ سبحانه: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ١١]، أي: مخلوقة، وورد في الحديث الشريف قولهﷺ « مَن أحدثَ في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردٌّ » (٢)، وقال الامام النووي في شرح هذا الحديث: « فهو ردٌّ»، أي: مَردودٌ (٣)، ومعناه: فهو باطلٌ غيرُ مُعتدٍّ بهِ.

ثانياً: العقيدة اصطلاحاً

عرّفها الجرجاني(٤) بانها: "ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل" (٥).

وقيل العقيدة: الحكم الَّذِي لا يقبل الشَّك فيهِ لدى معتقده، والعقيدة في الدّين: ما يقْصد به الاعتِقَاد دون العَمَل؛ كعقيدة وجود الله وبَعثه الرُّسُل عليهم السّلام(٦).

---

(١) ينظر: إبن فارس، ابي الحسين احمد (ت ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، ٨٦/٤. وإبن منظور، (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، ٣/ ٢٩٦.

(٢) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر(دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، ١٤٢٢هـ) رقم الحديث ٢٦٩٧، ١٨٤/٣.

(٣) النووي، يحيى بن شرف الدين(ت: ٦٧٦هـ)، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، (دمشق: مكتبة دار الفتح، ط ٤، ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م). ص: ٣١.

(٤) الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني، الحسيني، الحنفي، ويعرف بالسيد الشريف (أبو الحسن) عالم، حكيم، مشارك في انواع من العلوم، ولد في تاكو قرب استربان(٧٤٠هـ)، وهي من اعمال (طبرستان)، وفرّ من تيمور الى سمرقند، ثم عاد الى شيراز بعد موت تيمور، وتوفي فيها(٨١٦هـ)، وقد بلغ تصانيفه زهاء خمسين مصنفاً، منها: التعريفات، تحقيق الكليات، شرح مواقف الايجي، حاشية على شرح التنقيح للتفتازاني في الأصول. ينظر ترجمته: الأعلام للزركلي، ٤٨/٤.، وكحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م): ٥١٥/٢.

(٥) الجرجاني، الشريف علي بن محمد (ت: ٨١٦هـ)، التعريفات، اعتنى به، مصطفى ابو يعقوب، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م): ص ٨٦.

(٦) ينظر: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيّات، حامد عبدالقادر، محمد النجّار، المعجم الوسيط، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط ٤، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م): ص ٦١٤. وأبو حبيب، د.سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، (دمشق: دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م): ص ٢٥٦.

والعقيدة "هي الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك، أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظناً، فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة " (١).

أما مادة فَكَّرَ تدل على تردد القلب في الشيء(٢)، فالفِكْرُ هو: " إعمال النظر في الشيء " (٣).

يقول الغزالي(٤) في بيان حقيقة الفكر وثمرته " اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة " (٥).

عليه فإنّ الفرق بين العقيدة والفِكر هو: أنّ العقيدة تتّسم بالرسوخ والثبات، بينما الفكر لا يتّسم بشيء من ذلك، فالمفكّر يستطيع أن يعدّل أفكاره متى شاء، ولكنّه يتعذّر عليه المساس بعقائده إلاّ إذا نفى وأنكر الاعتقاد بها.

وأدناه ذِكر لبعض الانحرافات العقديّة والفكريّة في القصّة القرآنيّة عند أهل الكتاب:

أولاً: الانحراف العقدي والفكري عند اليهود:

أ- دعواهم أنَّ (عزيراً (٦) ابن الله):

لم يُخفِ القرآن الكريم ما انبرى اليه اليهود من انحرافات عقدية كبرى، وانجرارهم وراء نزواتهم، وانحرافهم عن جادة الصواب المتمثلة بعقيدة التوحيد الصحيحة التي جاء بها موسى عليه السلام، وذلك

---

(١) الأثري، عبدالله عبدالحميد، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، (الغرباء: الدار الأثرية للترجمة والطباعة والنشر، ط ١٠، ١٤٣٥هـ): ص ٢٥-٢٦. وينظر:العقل، د.ناصرعبدالكريم، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، (الرياض: دار الوطن للنشر، ط ٢، ١٤١٢ هـ): ص ٥.

(٢) ينظر: ابن فارس، ابي الحسين احمد (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، ٤٤٦/٤.

(٣) الفيروز آبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) القاموس المحيط، رتّبه ووثقه: خليل مأمون شيحا،
(بيروت: دار المعرفة، ط٤، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص: ٤٥٨.

(٤) أبو حامد الغزالي هو : زين الدين حجة الإسلام محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المولود سنة (٤٥٠هـ) بالطابران، تتلمذ على إمام الحرمين الجويني، وله عدة تصانيف منها: البسيط والوسيط، إحياءعلوم الدين، كيمياءالسعادة، توفي في (٥٠٥هـ)، بالطابران ودفن فيها وله (٥٥) سنة، ينظر ترجمته في: ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٤٦/٩؛ وابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة ٢٠٣/٥.

(٥) الغزالي، ابو حامد(ت ٥٠٥ هـ)، إحياءعلوم الدين، إشراف: توفيق شعلان(القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ط، د. س): ٩٠/٥.

(٦) لم يرد إسم عزير في القرآن الكريم الاّ مرة واحدة فقط وذلك في معرض دعواهم بأن عزير ابن الله ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وعُزَير: اسْمُ حَبْرٍ كبيرٍ مِن أَحْبارِ اليهودِ الَّذِينَ كانوا في الْأَسْرِ البابِلِيِّ، واسْمُهُ في العِبْرَانِيَّةِ (عِزْرَا) - بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ- بْنُ (سَرايَا) منْ سِبْطِ اللَّاوِيِّينَ، كانَ حافِظًا لِلتَّوْرَاةِ، وقَدْ تَفَضَّلَ علَيْهِ (كُورَشُ) مَلِكُ فارِسَ فأَطْلَقَهُ مِنَ الْأَسْرِ، وأَطْلَقَ معَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْأَسْرِ الَّذِي كانَ علَيْهِمْ في بابِلَ، يُنظر: التحرير والتنوير: ١٠/ ١٦٧-١٦٨.

باستبدالهم بعقائد أخرى قائمة على الوثنية والشرك، وعبدوا العجلَ، وهذا الانحراف الفكري المتأصل هو نتيجة التقليد، قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، " فإنهم ما إن رأوا أناسا يتعبدون لأوثان وأصنام، حتى سألوا موسى عليه السلام أن يأخذ لهم نصيبهم من هذا الباطل الذي بين يدى هؤلاء النّاس! "[١]. ويتجلى انحرافهم أيضاً، دعواهم بأن عزيراً ابن الله، بدليل قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٣٠]. هذه ضمن الانحرافات الكثيرة التي دخلت العقيدة اليهودية رغم أنّ مصدره واحد هو الوحي الإلهي (التوراة)؛ ولكنْ تمادى بهم الانحراف إلى أن وصفوا اللهَ بصفات وأوصاف، لايختلف كثيراً عن صفات وأوصاف البشر من مأكلٍ ومشربٍ ونومٍ وراحةٍ وندمٍ، وما إلى ذلك من نقائض لا تليق به سبحانه[٢] ، منها: " وبَنى نوحٌ مَذبَحاً للرَّب، وأخَذَ من كلِّ البَهائِمِ الطّاهرَة ومِن كلّ الطّيور الطّاهِرَة وأصعَدَ مُحرَقاتٍ على المَذبَحِ، فَتَنَسَّمَ الرَّبُ رائحةَ الرِّضا" [٣]،ومنها: " فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ، كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ"[٤] ، و" اِسْتَيْقِظْ! لِمَاذَا تَتَغَافَى يَا رَبُّ؟ انْتَبِهْ !لاَ تَرْفُضْ إِلَى الأَبَدِ "[٥] ، ومنها أيضاً: "وكان كلام الرّب إلى صموئيل قائلاً: نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي" [٦].

وللمفسرين في قولهم أنّ(عزيراً ابن الله) ثلاثة أقوال:

القول الأوّل: أن ذلك كان قول جميعهم.

القول الثاني: أنه قول طائفة من سلفهم.

القول الثالث: أنه قول جماعة ممن كانوا على عهد رسول الله ﷺ [٧] ؛ ولكنهم اختلفوا فيهم على قولين:

---

(١) الخطيب،عبدالكريم يونس(ت:بعد١٣٩٠هـ)،التفسير القرآني للقرآن،(القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت): ٤٧١/٥.

(٢) ينظر: ملكاوي، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، (المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، ط ١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م): ص ٢٧.

(٣) سفر التكوين ٨: ٢٠–٢١.

(٤) سفر المزامير ٧٨: ٦٥.

(٥) سفر المزامير ٤٤: ٢٣.

(٦) سفر صموئيل الأول ١٥: ١٠–١١.

(٧) الماوردي، (ت: ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط ، د.س): ٣٥٣/٢.

أحدهما: قال عبيد بن عمير[١]: إنما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه: فَنْحاصْ بن عازوراء [٢].

ثانيهما: قال ابن عباس ﷺ في رواية سعيد بن جبير وعكرمة: أتى إلى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى ومُحَمَّدُ بْنُ دِحْيَةَ وَشَاسُ بْنُ قَيْسٍ ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ولا تزعم أن عزيزاً ابن الله؟ فأنزل الله هذه الآية[٣].

قال الماوردي[٤]: " فإن قيل: فإذا كان ذلك قول بعضهم فلم أضيف إلى جميعهم؟ قيل: لأن من لم يقله عند نزول القرآن لم ينكره، فلذلك أضيف إليهم إضافة جمع وإن تلفظ به بعضهم " [٥].

---

(١) عُبَيدُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيُّ الْمَكِّيُّ، يكنى أبا عَاصِم، واعِظُ ومُفَسِّرُ، وُلِدَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، رَوَى عَنْ: عُمَرَ، وَعَلِيٍّ، وأَبِي ذَرٍّ، وعائِشَةَ، وأَبِيهِ عُمَيْرٍ، حَدَّثَ عَنْهُ: ابْنُهُ؛ عَبْدُ اللهِ بنُ عُبَيْدٍ، وعَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، وكَانَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ مِنْ عُلَمَاءِ المَكِّيِّيْنَ، تُوُفِّيَ قَبْلَ ابْنِ عُمَرَ بِأَيَّامٍ يقليلة، وقِيْلَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِيْنَ للهجرة. ينظر ترجمته: الحافظ المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد، (بيروت:مؤسسة الرسالة ، ط ١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، ٢٢٣/١٩؛ والذهبي،شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، تحقيق: د.بشار عواد،(بيروت:دار الغرب الإسلامي،ط١،٢٠٠٣م)،٨٦٠/٢؛والذهبي،سير أعلام النبلاء، ٨٤/٥.

(٢) الرازي، فخرالدين(ت:٦٠٦هـ)،مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ): ٢٨/١٦.

(٣) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي،(ت:٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب(السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ): ١٧٨١/٦.

(٤) الماوردي: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري (٣٦٤-٤٥٠) من وجوه فقهاء الشافعية، وحافظ للمذهب، إمام جليل رفيع الشأن، له اليد الباسطة في المذهب، له مصنفات كثيرة منها: الأَحكام السُّلْطانيَّة وتفسير النكت والعيون وكتاب أدب الدّين والدُّنيا، تولى ولاية القضاء ببلدان كثيرة. ينظر ترجمته في: ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت: ٦٤٣هـ)، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٩٩٢م) :٢٣٤/١؛ والسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤١٣هـ):٢٦٧/٥؛ وقاضي شهبة ، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧ هـ): ٢٣٠/٢ ومابعدها.

(٥) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ط ، د.ت): ٣٥٣/٢.

ويبنى من هذين القولين أن الله تعالى نسب ذلك القول إلى اليهود بناء على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد، يُقالُ فُلَانٌ يَرْكَبُ الخُيُولَ ولَعَلَّهُ لَمْ يَرْكَبْ إِلَّا خيلاً واحِدًا، وكذلك فُلَانٌ يُجَالِسُ السَّلَاطِينَ ولَعَلَّهُ لَم يُجَالِسُ إِلَّا سلطاناً واحِدًا [1].

والظاهر ان اليهود القاطنين في المدينة المنورة لم ينكروا أو يكذبوا الآية الكريمة الدالة على قول اليهود أن عزيراً ابن الله، وإلاّ لاعترضوا عليها، وهذا دليل على أن ما جاء بالآية يَصْدُقُ على بعضهم أو هُمْ كانوا على عِلمٍ بأن قوماً منهم قد قالوا ذلك[2].

ب- دعواهم أن اليهود أبناء الله وأحباؤه:

ذكر القرآن الكريم ان اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، بدليل قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... ﴾[المائدة: ١٨]، وهذا بحد ذاته انحراف، وتجني على الذّات الإلهية، وقد ردّ القرآن الكريم على زعمهم وبطلان دعواهم في نفس الآية، ببيان أنهم بشر كسائر البشر، فلماذا يعذبهم الله بذنوبهم إذاً !؟ قال تعالى: ﴿... قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨]، وأوردَ ابن جرير الطبري سبب نزول هذه الآية بسنده عن ابن عباسﷺ قال: " أتى رسولَ الله ﷺ نعمانُ بن أضَاء وبحريّ بن عمرو، وشأس بن عدي، فكلموه، فكلّمهم رسولُ الله ﷺ ، ودعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تُخَوّفنا، يا محمد!! نحنُ والله أبناء الله وأحبَّاؤه!! " [3]، فأنزل الله فيهم الآية المذكورة.

وأشار القشيري[4] إلى أنّ " البنوة تقتضى المجانسة، والحقّ عنها منزّه، والمحبة بين المتجانسين تقتضى الاحتظاظ والمؤانسة، والحقُّ سبحانه عن ذلك مقدّس، فردّ الله – سبحانه – عليهم فقال تعالى: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ﴾ " [5].

---

(١) ينظر: الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، مصدر سابق: ٢٨/١٦.

(٢) ينظر: الشعراوي، محمد متولي (ت : ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي= الخواطر، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م): ٥٠٣٣/٨.

(٣) الطبري، ابن جرير (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان، تحقيق: احمد شاكر، : ١٥٠/١٠-١٥١.

(٤) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، ولد ٣٧٦هـ، وأصله من " أستواى "، من العرب الذين قدموا خراسان، له تصانيف كثيرة، منها: لطائف الإشارات، الرسالة القشيرية، توفي بنيسابور ٤٥٦هـ، ينظر ترجمته: الأعلام، ٥٧/٤، و طبقات الأولياء لسراج الدين، ص: ٢٥٧، ومعجم المؤلفين: ٦/٦.

(٥) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات = تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، د.س): ٤١٤/١.

وذكر صاحب فتح البيان" أمر الله سبحانه رسولهﷺ أن يرد عليهم فقال: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: إن كنتم كما تزعمون فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الذنوب بالقتل والمسخ " [1].

يتبين مما سبق أن الانحراف وقع في أصل العقيدة وأساسها هو: الاعتقاد الصحيح عن الله سبحانه وتعالى، وعدم مشابهته للبشر، وتنزّهه وعدم حاجته إلى الأبناء.

ثانياً: الانحراف العقدي والفكري عند النصارى :

أشار القرآن الكريم إلى انحرافات النصارى بعد عيسى عليه السلام في عقائدهم وتبديلهم عقيدة التوحيد بعقائد وثنية قائمة على الشرك والتثليث، وغيرها من الانحرافات التي تمس العقيدة الصحيحة وتخالف الوحي المنزل وتضاهي شرع الله، وتفرقهم فيما بينهم إلى طوائف ومذاهب شتى، ومن تلك العقائد والأفكار المنحرفة: ادعاؤهم بألوهية عيسىعليه السلام والقول بالتثليث، وأن عيسى ابن الله.

لا شك أنّ ادعاءهم بألوهية عيسى انحراف صريح عن العقيدة الصحيحة التي جاء بها عيسىعليه السلام، والتي ارسله الله ليصحح العقيدة التي حرّفها اليهود، وليرد بني اسرائيل إلى جادة الحق والصواب بعدما انحرفوا وانغمسوا في متاهات المادّية وتقديسها، وان اليهود رفضوا دعوتهعليه السلام ولم يؤمن به الاّ القليل من بني إسرائيل، وبعد أن رفعه الله تعالى انحرفوا في نظرتهم إليه، فزعم بعضهم أنّه إله،قال تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾[المائدة: ١٧]،وقال سبحانه:﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ...﴾[المائدة:١١٦]، وزعم آخرون أنّه إبن الإله،﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...﴾[التوبة: ٣٠]، وفيما بعد دخلت عقيدة التثليث، ووبّخ الله من ادّعى التثليث بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة: ٧٣]، وقد فنّد الله تعالى في سورة مريم زعم النصارى ألوهية عيسىعليه السلام على لسانه:﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[مريم: ٣٠-٣١]، وكذلك دعا المسيح إلى عبادة الله وحده كما ذكر سبحانه وتعالى ذلك في سورة المائدة:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وعند تتبع آيات القرآن الكريم يظهر أن عيسىعليه السلام دعا بما

---

(١) محمد صديق خان ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧ هـ)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن، راجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م): ٣/٣٨١.

دعا به الأنبياء والمرسلون قبله، وهو الايمان الحقيقي بالله وحده لا شريك له والدّال على بشريّته وتفنيد مزاعم وادِّعاءات وانحرافات النصارى فيما ذهبوا اليه [١].

المطلب الثاني: انحرافات أخلاقيّة وسلوكيّة :

فرّق العلماء بين الأخلاق والسلوك ولهم حول ذلك آراء وتعاريف كثيرة منها: قول الجاحظ [٢] حول الخُلُق، فالخُلُق هو: "حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا إختيار، والخلق قد يكون

في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلاّ بالرياضة والاجتهاد" [٣]. بينما الخُلق عند الغزالي هو: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية " [٤].

والسلوك هو فعل الشخص في تصرفاته وأقواله، وبمعنى آخر يمكن بيان القول في نقاط محددة:

١- الخُلق: شيء باطني داخلي من مكونات النفس البشرية، وصفة يميل بها الإنسان إلى فعل الخير أو الشر.

٢- السلوك: شيء ظاهري ولا يُسمى سلوكاً إلا إذا كانت صادرة عن إرادة نحو غاية معينة مقصودة بذاتها.

٣- وأما التصرف: شيء ظاهري صادر دون إرادة تدفع به الغرائز المشتركة مع الحيوانات.

ولهذا اصطلح علماء الأخلاق على استعمال كلمة أو لفظ السلوك في الدلالة على الأعمال الظاهرة للإنسان، كما اصطلحوا على استعمال كلمة أو لفظ الخُلق في الدلالة على أعمال الإنسان الباطنة،

---

(١) ينظر: ابراهيم، حسن محمد، دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية والآثار التي ترتبت على ذلك، رسالة ماجستير، قدمت الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية – فرع العقيدة بمكة، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) باشراف الشيخ. عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص: ١٠١ وما بعدها.

(٢) الجاحظ هو: عَمْرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، مولده ووفاته في البصرة (١٦٣ – ٢٥٥ هـ = ٧٨٠ – ٨٦٩ م) ، فلج في آخر عمره، وكان مشوّه الخلقة، مات والكتاب على صدره، وكان ذلك في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين، سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، له تصانيف كثيرة، منها: البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء، وسحر البيان، ينظر ترجمته: الزركلي، الأعلام: ٥ /٧٤، وياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي ، ط ١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م)، ٥/ ٢١٠١ ومابعدها.

(٣) الجاحظ، ، أبو عثمان عَمْرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥ هـ)، تهذيب الأخلاق، (القاهرة: دار الصحابة للتراث ، ط ا، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م): ص١٢.

(٤) الغزالي، ابو حامد (ت ٥٠٥ هـ)، إحياءعلوم الدين:٣/٧٦.

ووضعوا للسلوك تعريفاً يتفق وإنسانيّتَه فقالوا: إن السلوك هو أعمال الإنسان الإرادية المتجهة نحو غاية معينة مقصودة، وعليه فالعلاقة بين السلوك والخُلق هي علاقة الدال بالمدلول أو الأثر بالمؤثر(١).

وتظهر في القصّة القرآنيّة نماذج كثيرة من الانحرافات، سواء الأخلاقية أو السلوكية، منها: **الانحراف الجنسي.**

هناك صوَرٌ متعددة للانحراف الجنسي، وقد ذكرها القرآن الكريم في قصَصِهِ منها:

أ- الفاحشة عند قوم النبي لوط عليه السلام :

يرغب الباحث عدم ذكر مصطلح اللّواط أو اللّوطيّة، فاللواط او اللّوطيّة مصطلحان منسوبان إلى قوم النبي لوط عليه السلام، فالأولى عدم تسمية هذا الانحراف بهذين المصطلحين تشريفاً لنبي الله لوط عليه السلام الذي أرسله الله ليُحذّر الناس من هذا الفعل الشنيع والتصرّف الشائن؛ إذ يود الباحث استعمال مصطلح الشذوذ الجنسي للدلالة على عمل قوم لوط من لواط الذي هو شذوذ جنسي تام؛ لأنه لايمكن اطلاق مصطلح (الفاحشة) التي هي تسمية اسلامية وقرآنية بحتة عالمياً على هذا التصرف وإلزام الغير أو الغرب به. فالشذوذ حالة مَرَضيّة خارجة عن الفطرة، وقد حذّر الله تعالى قوم لوط من هذا التصرف الذي هو نوع من أنواع الانحرافات الأخلاقية، والبعيدة كل البُعد عن القيم الإنسانية التي فطرها الله البشرية عليها؛ والتي ابتدعها قوم لوط عليه السلام وانتشرت بشكل ملحوظ بينهم، وسمّاها الله بالفاحشة، إذ لم يسبقها أحد قبلهم كما قال تعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[الأعراف: ٨٠-٨١]، وهو إنحراف عن العلاقة الجنسية الطبيعية المشروعة مابين الرجال والنساء والتي تحافظ على أواصر المحبة من جهة، وحفظ النسل البشري من جهة أخرى. وظهر هذا الشذوذ في أهل سَدوم(٢)، إذ كانت أخلاقهم فاسدة، وذوي طبع فاجر، لايتعفّفون عن المعاصي ولايتناهَوْن عن فعل المُنكَر،وكانوا أصحاب سيرة سيئة وسمعة رديئة، وكان من صفاتهم قطع

(١) ينظر: البيرة غنام غنام، مقال منشور في مجلة (إشراقات)، بعنوان: نظرة في الأخلاق والسلوك والتصرف، وعلى موقع (ishraqat.info)، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٥/١٩.

(٢) بفتح أوّله: مدينة من مدائن لوط، كان قاضيها يقال له سدوم، ويضرب به المثل، ويقال: أجور من قاضي سدوم، وأجوَر من سدوم. ينظر: الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ)، ٧٢٩/٣؛ والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ)، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق: د. أحمد عبد التواب عوض المدرس بجامعة عين شمس، (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ط، ١٣١٩هـ - ١٩٩٩م): ص ١٧٤.

الطريق على المارة وخيانة الرفيق، ولم يكن يردعهم رادع، ولا يستمعون لنصيحة عاقلٍ[1].والشذوذ الذي كان موجوداً عند قوم لوطعليه السلام تُعَدُّ من أشد وأقبح الانحرافات الأخلاقية والسلوكية التي ظهرت بين البشرية، ناهيك أنها تسبب خللاً في العقل والفكر والتصور فتسلب من الانسان ارادته دون أن يشبع حاجاته الجنسية الطبيعية؛ لأن المسلك الذي شرع في الاشباع الجنسي والذي سلكه هؤلاء غير المسلك الذي شرعه الله تعالى للإنسان[2]. وقفت الآيات الكريمة عند المجتمع البشري الذي كان يقيم في أرض فلسطين، وفي منطقة البحر الميّت،وبيّنت هذه الآيات سبباً من أسباب هلاك الأمم والحضارات، وهو الخروج عن الفطرة السليمة التي فطر الله البشرية عليها في شأن تكاثرهم وتناسلهم وتلبية رغباتهم الجنسية، إذ قال لوطعليه السلام لقومه منكراً ومحذّراً وموبخاً: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾[الأعراف:٨٠]، أي: أَتَفْعَلُونَ الفِعْلَةَ البالِغَةَ مُنْتَهَى القُبْحِ والفُحْشِ؟ ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ بَل هيَ مِنْ مُبْتَدَعَاتِكُمْ في الفَسَادِ والانحرافات،فَأَنْتُمْ فيها قُدْوَةُ سُوءٍ، فَعَلَيْكُمْ وِزْرُها ومِثْلُ أَوْزارِ مَنْ يَتْبَعَكُمْ فيها إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ [3].

ب-العلاقة المحرّمة والتعلّق القلبي الشهواني :

الشهوة الجنسية المحرمة انحراف أخلاقي سلوكي؛ والانجرار وراء شهوة الجنس المحرّم ماهو إلاّ انحراف أخلاقي سلوكي يدل على عدم السيطرة على كبح جماح الشهوة وإخماد هيجانها بالطرق الصحيحة المشروعة.

ومن صور الانحرافات الجنسيّة التي وردت ذكرها في القرآن الكريم، العلاقة المحرّمة والتعلّق القلبي الشهواني وانحراف الشهوة الجنسية الجامحة التي بادرت بها امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام ، وغالباً ما يُشاع أن الذكر هو المبادر الحقيقي لمثل هذه الأمور؛ ولكن الظاهر من قصّة يوسف عليه السلام أن الأنثى هي المبادرة الشغوفة المنساقة وراء نزوات الهوى؛ والتي راودت الذَّكَرَ حسب ماجاء في سورة يوسف، ويقول صاحب نظرات في أحسن القصص[4] " فقد جرت العادة أن تكون

---

(١) ينظر: المولى، محمد احمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، والسيّد شحاتة، قصص القرآن، (بيروت: دار الجيل، د. ط ، د.ت): ص ٦١.

(٢) ينظر:عبدالعظيم،د.سعيد،عظات وعبر من قصص الأنبياء،(القاهرة:دار ابن الهيثم،ط ا، ٢٠٠٥م):ص٩٠-٩١.

(٣) ينظر: رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين (ت: ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم=تفسير المنار،(مصر:الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط،١٩٩٠م):٤٥٣/٨،وينظر: طهماز، عبدالحميد محمود، أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف، (بيروت: الّدار الشّامية، ودمشق: دار القلم، ط ا، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م): ص ٨٢-٨٣.

(٤) هو: محمد السيد الوكيل، كاتب وروائي مصري، ولد سنة ١٩٥٣، تخرج من جامعة الأزهر، كان عميداً لكلية الآداب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، له مؤلفات كثيرة منها: نظرات في أحسن القصص، العصر الذهبي للدولة العباسية، توفي سنة ٢٠٠٢م.

المرأة هي المطلوبة، وأن تُدل بحيائها وتمنّعها مهما كان الطالب، ولكنه رأى سوى ماكان يُتوقع "[١]، ويستدل على ذلك بقوله تعالى في سورة النور: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[النور: ٢]، بينما في جريمة السرقة نجد أن الرجل مقدّم على المرأة كما جاء في سورة المائدة بدليل قوله تعالى:﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

يرى نجيب الكيلاني[٢] ان هذه القصّة لها وقع خاص " إذ تتعلق بالأنثى وعواطفها، وانسياقها وراء نزوات الهوى، وجنون الجنس، وهي قصّة قديمة ...، لقد كانت مصر في فترة من فترات التاريخ تعاني من الجفاف.. الجفاف الروحي والعقائدي والمادي... وقصّة يوسف عليه السلام كثيرة الفصول، متنوعة القضايا، ... على ذلك الحديث الذي اهتزت له جنبات القصر الكبير، حينما راودت امرأة العزيز فتاها يوسف " [٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، يعني: " راودته عمّا أرادت عليه، مما تريد النساء من الرجال، فعلم بذلك ذكر الفاحشة، ومعناه: طلبت إليه أن يمكّنُها من نفسه، يعني: امرأة العزيز ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ عليها وعلى يوسف، وجعلت تغمزه وتمازحه" [٤].

---

(١) الوكيل، د. محمد السيد، نظرات في أحسن القصص، (بيروت: الّدار الشّامية، ودمشق: دار القلم، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م): ص ٣٢٧.

(٢) نجيب الكيلاني هو: نجيب عبد اللطيف إبراهيم الكيلاني، ولد في ١٩٣١في قرية شرشابة، التحق بكلية الطب سنة ١٩٥١، تخرج منها وانتقل الى الحياة العملية في عدد من المستشفيات، التحق بجماعة الإخوان المسلمين ، هو أديب وقاص وروائي بارع، ومن مؤلفاته: الظلام الأسود، عمر يظهر بالقدس، توفي في ١٩٩٥/٣/٧، ينظر ترجمته: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، كتاب المختار، (المكتبة الوقفية، ج١، ٢٠٠٦م): و سيرة الأديب الدكتور نجيب الكيلاني على موقع https://www.almrsal.com/post/ ، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/١/٩.

(٣) الكيلاني، نجيب، حول القصّة الإسلامية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٩٢م): ص٦٤ وما بعدها.

(٤) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٥هـ)، تفسير السمرقندي = بحر العلوم، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، ود. زكريا عبدالمجيد النّوتي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م): ١٥٦/٢.

المطلب الثالث: انحرافات اجتماعيّة ونفسيّة :

أولاً: الانحرافات الاجتماعية:

المقصود بالانحرافات الاجتماعية هي الانحرافات التي تمس المجتمع وعلاقاته وتؤثر فيه سلباً، وبما انّ الإسلام يؤكد على تماسك المجتمع وطهارته فإنّه وضع قيماً ومعايير وتعاليم وتشريعات ومبادئ للحفاظ على ذلك، والخروج عن تلك القيم والمبادئ يُعَدُّ انحرافاً اجتماعياً؛ وكل ما يهدم الأسرة، كالقتل والزنا والرّبا والسّرقة وشرب الخمور، وكذلك سلوك الزوجات تجاه الأزواج، إضافة إلى سلوك الأبناء تجاه الوالدين، والسلوكيات الخاطئة في تعامل الأفراد بعضهم مع البعض الآخر مثل الغيبة والنميمة، وبالعكس من قبيل الانحرافات الاجتماعية، وفي القصّة القرآنيّة نماذج كثيرة، منها:

إزهاق الروح في قصّة قابيل وهابيل:

يعتبر القتل(إزهاق الروح) من صور الانحراف الاجتماعي، وفي نفس الوقت يدل على خلل واضطراب نفسي؛ وإن كان جريمة بحد ذاته، وهو انزلاق عن الحق وانحراف عن الطريق القويم، وخروج عن النسق المألوف من الأمن والاستقرار في المجتمع، والذي ينبغي على الانسان التعامل الايجابي مع أخيه الانسان؛ دون اللّجوء إلى العنف والقتل لتصفية حساباته الشخصية. اختلفت نظرة الفقهاء (قدامى ومعاصرين) في التعريف الاصطلاحي للجريمة من حيث الأثر المترتب عليها، فنظرة القدامى للجريمة هي" محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحدٍ أو تعزير"[1]، بينما تعريف الجريمة عند الفقهاء المعاصرين هي"إتيان فعل محرم معاقب على فعله، أو ترك فعل مأمور به معاقب على تركه"[2].

والقتل يجمع بين الانحراف والجريمة؛ فالتعريف الاجتماعي يفصل بين الجريمة والانحراف، فالقاعدة تقول: "كل جريمة انحراف، وليس كل انحراف جريمة "[3]، والانحراف عن المسار الاجتماعي يؤجج الصراع في المجتمع ويورث العداوة والبغضاء والثأر، وقد يستمر ذلك إلى أمد بعيد.

وقصّة قابيل وهابيل، قصّة اجتماعية أسريّة وقعت بين أخوين، وإن كان في ثناياها دلالة قوية على الحسد، تقبَّل الله من أحدهما قربانه لأنه قرّب أحسن مالديه، ولم يتقبل من الآخر قربانه لأنه قرّب أردأ ما عنده، وبعدها تَقَبَّل الله من هابيل، وحسد قابيل على أخيه وتعدّى على حقوق أخيه فقتله، وهذه أول جريمة قتل أو مشكلة اجتماعية حدثت وانحرفت عن مسارها الحقيقي، قال تعالى:

---

(١) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: ٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدّينية، تحقيق: د. احمد مبارك البغدادي (الكويت: دار ابن قتيبة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، ص:٢٨٥.

(٢) ابو زهرة، محمد، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، (القاهرة. دار الفكر العربي، د.ط ، ١٩٩٨م): ص٢٠.

(٣) ابو عليان، بسام محمد، الإنحراف الإجتماعي والجريمة، (د.ن، ط ٣، ٢٠٠٦ م): ص ١٥.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]، وذكر المفسرون[١] أن سبب قتل قابيل أخاه هابيل، هو أنَّ آدمﷺ أمرَ أن يزوج كل أنثى يولد من ذَكرِ البطن الآخر، بمعنى لا تحل الأنثى للغلام الذي ولد معها في نفس البطن، وكانت أخت قابيل وضيئة جميلة، بعكس أخت هابيل التي كانت دميمة، فرفض قابيل أن يزوّج أخته التي ولدت معه في نفس البطن لهابيل، ورأى أنه أحق بها من غيره؛ وهنا تدخّل آدمﷺ كما تشير اليه التفاسير[٢] بأن يقرّب كلّ واحد منهما قرباناً، فايّهما تُقبّل فهو أحق بها، وكان قابيل مزارعاً فقدم حزمة من شرّ ماله، بينما كان قابيل يمتهن في تربية المواشي فتقرّب بأحسن كبش عنده، فتُقبّلَ قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، هنا رفض قابيل تلبية الأمر وذلك لعدم قبول قربانه.

والذي ينبّه اليه الباحث ما يشاع أن المرأة كانت سبب الخصام والاختلاف بين الأخوين مما جعل أن يقتل قابيل أخاه هابيل من قبيل الإسرائيليات؛ ويوحي بأن المرأة هي سببٌ لكل فساد، لم يرد في القرآن الكريم مايدل صراحة على ذلك ولا السنّة النبويّة على صحتها وحقيقتها.

ومهما يكن من الأمر فالقتل انحراف خطير على المجتمع، فالبغي والاستطالة على النفس البشرية الواحدة وإراقة دمها ظلماً، يُعدُّ تعدياً وانتهاكاً على جميع الناس، وإزهاق تلك الرّوح عند النفس الإنسانية، كأنه إزهاق للروح الموجودة عند جميع البشر يقول سبحانه وتعالى:﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[المائدة: ٣٢]، عليه ان تكون إنسانية الإنسان محفوظة مصانة معتبرة، وعلى جميع الناس أن يتفقوا على احترامها والمحافظة عليها؛ وصونها من التعدي عليها بقتلها؛ لأن ذلك يعدّ انتهاكاً على جميع البشرية، وبعكس ذلك إن إحياء الإنسان لنفس أخيه الإنسان والمحافظة عليها دليل على تمكّن المعاني الإنسانية النبيلة من نفسه، وتوفر الأخلاق الإنسانية الفاضلة فيه كما ذكرت الآية الكريمة [٣].

ثانياً: الانحرافات النفسيّة:

من الانحرافات الخطيرة في حياة الإنسان والمجتمع الانحراف النفسي، ويعني: إتباع الرغبات النفسيّة بطرقٍ وسلوكياتٍ غير مشروعة، وغير أخلاقية، كالغش والكذب والنفاق والقسوة والعدوانية وغيرها.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢٠١/١٠؛ تفسير الماوردي ٢٨/٢؛ تفسير البغوي ٣٨/٢؛ تفسير ابن كثير ٨٢/٣.

(٢) ينظر: تفسير البغوي ٣٨/٢؛ تفسير البيضاوي ١٢٣/٢؛ تفسير النسفي ٤٤١/١.

(٣) ينظر: الخالدي، د. صلاح عبدالفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، (دمشق: دار القلم، ط ٥، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)، ص ٢٢٤، بتصرف.

وفي هذه الفقرة سيتم تسليط الضوء على ظاهرة النفاق باعتبارها انحرافاً عقدياً ونفسياً وأخلاقياً خطيراً في حياة الفرد والمجتمع.

والنفاق هو:" إظهار الإيمان باللّسان، وكتمان الكفر بالقلب"(١).

وهو سلوك مركّب يرجع في الأساس إلى الطبيعة الدنيئة، وتعرف إلى عدة عناصر خُلُقية ذميمة وسلوكيات رديئة، يدخل فيها الجُبنُ، وجحُود الحقّ، والطمع في المنافع الدنيّوية، والقدرة على المراوغة والحيلة، ولَبْس الأقنعة المختلفة، وعِمادها الكذب في القول والعمل (٢).

ولم يكن هذا المصطلح متداولاً في الجاهلية، يقول السيوطي:"المنافِق اسمٌ إسلاميٌّ لم يُعْرف في الجاهلية وهو: مَنْ دَخل في الإسلام بلسانه دون قلبه سمي منافقا"(٣).

وقد وصف الله في سورة البقرة المنافقين في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة: ١٤]، والفرق ظاهر بين الإنسان المنافق والإنسان السليم القويم؛ باعتبار ان السوي له وَجْهٌ واحدٌ وطريقة واحدة، وهو منسجم إلى حدّ كبير بين روحه وجسده، وأما المنافق فيكون متذبذب الطبع غير مستقر ضعيف الموقف، وعادة ما يكون ظهوره بمظهرين يخالف أحدهما الآخر، فيتمازج المرض الفكري بالنفسي، ويكوّنان خلالهما صورة مضادة تسمى بالنفاق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة:١٤]،" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ هذِهِ الْآيَةُ في عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وأَصْحابِهِ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ فَاسْتَقْبَلَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ(ﷺ) فَقالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ: انْظُرُوا كَيْفَ أَرُدُّ هَؤُلَاءِ السُّفَهَاءَ عَنْكُمْ؟ فَذَهَبَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَقالَ: مَرْحَبًا بِالصِّدِّيقِ سَيِّدِ بَنِي تَيْمٍ، وَشَيْخِ الإسلام وَثَانِي رَسُولِ اللَّهِ في الْغَارِ الْبَاذِلِ نَفْسَهُ وَمَالَهُ؛ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ فَقالَ: مَرْحَبًا بِسَيِّدِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، الْفَارُوقِ الْقَوِيِّ فِي دِينِ اللَّهِ،.." (٤).

ويظهر النفاق من خلال تذبذب صاحبه وعَدَمِ ثباته على رأي قادر على اتخاذ القرار الحاسم فيما يتعلق بعقيدته وفكرته وإظهار شخصيته على حقيقتها بعيداً عن الازدواجية والاختلاف بين السرّ

---

(١) الجرجاني، (ت: ٨١٦هـ)، الشريف علي بن محمد، إعتنى به، مصطفى ابو يعقوب، التعريفات، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ص١٣٤.

(٢) ينظر: الميداني، عبدالرحمن حسن حبَنَّكة، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٤١هـ – ١٩٩٣م): ١/١٤.

(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور(بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م): ١/٢٤٠.

(٤) ينظر: الواحدي، اسباب النزول، تحقيق الحميدان: ص٢٢؛ والذهبي، د. محمد السيد حسين (ت: ١٣٩٨هـ)، والتفسير والمفسرون (القاهرة: دار الحديث، د.ط، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م): ١/ ٧٤.

والعلن، فالمنافقون كانوا إذا لقوا الرسول(ﷺ) والصحابة (رضوان الله تعالى عليهم) أظهروا الإيمان وإذا رجعوا إلى سادتهم وأقرانهم قالوا إنّا معكم لم نخرج عن ديننا إنّما نحن مستهزؤون بهم ومستسخرون بشأنهم [١].

وجاء في تفسير اللباب في علوم الكتاب، المراد بقولهم (آمنا) " أخلصنا بالقلب؛ لأن الإقرار باللسان كان معلوماً منهم مما كانوا يحتاجون إلى بَيَانِهِ، إنما المشكوك فيه هو: الإخلاص بالقلب، وأيضاً فيجب أن يحمل على نقيض ما كانوا يظهرونه لشياطينهم، وإنما كانوا يظهرون لهم التَّكذيب بالقلب"[٢]. وذكر صاحب تفسير الخازن أن المراد بشياطينهم هم: "رؤساؤهم وكَهَنَتِهم، قال ابن عباس وهم خمسة نفر: كعب بن الأشرف من اليهود بالمدينة، وأبو بردة من بني أسلم، وعبدالدّار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وعبد الله بن السوداء بالشام" [٣].

ففي معرض الاشارة الى قصة موسى ﷺ، من سورة النمل، يظهر أنّ أسباب الانحراف هي أسباب نفسية، ويتبيّن أنّ فساد القلوب هو المانع الرئيس للهداية، حتى مع وجود الأدلة الحسّية الواضحة؛ بل حتى مع اقتناع أولئك الكفار بصحّة دعوة موسىﷺ،﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ* وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[النمل: ١٣-١٤]، والنفاق ظاهر عند هؤلاء لأنهم يستبطنون شيئاً ويستظهرون نقيضه.

قال صاحب زهرة التفاسير " والجحود نفي ما يثبت في العقل، وإثبات ما ينفي في العقل، فهؤلاء يجحدون الحق بعقولهم وأقوالهم، ولكن نفوسهم مستيقنة لأنها لا سبيل لها لأن تنكر وتجحد "[٤] .

---

(١) ينظر: بن عجيبة الحسني، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، (القاهرة: الناشر، د. حسن عباس زكي، د.ط، ١٤١٩هـ): ١/ ٨١-٨٢.

(٢) الحنبلي، سراج الدين أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م): ١/ ٣٥٩.

(٣) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن(ت: ٧٤١هـ)، تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ): ١/ ٢٨.

(٤) ابو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، زهرة التفاسير، (بيروت: دار الفكر العربي، د. ط، د.س): ٥٤٣٨/١٠.

وقال ابن عباس ﷺ" أي كذبوا بالآيات أن تكون من عند الله، وقد تيقنوا في أنفسهم أنها من عند الله، فعاندوا بعد تبينهم الحق"(١).

إنّ خطورة المنافقين ومواقفهم ضدّ الإسلام لاتكاد تحصى، وبطبيعة الحال ان ما يجري في الخفاء أدهى وأخطر، وخير ما وصفهم ذلك الآية الثانية والسبعون من سورة آل عمران: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[آل عمران: ٧٢].

وكان من طبيعة بعض أهل الكتاب أن يؤمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا بوجه النهار، والكفر به آخر النهار، أي: بالليل، وهذا دليل على نفاقهم، وكأنّ هذا النفاق دَيْدَنهم ومهنتهم التي امتهنوها، وكأنّ النفاق ثوب عَملهم، يلبسه العامل وقت النهار ليستر بها نفاقهم، ثم يخلعه ليلاً عندما يأوي إلى منزله وينتهي من عمله (٢).

المطلب الرابع: انحرافات اقتصاديّة وسياسيّة :

أولاً: الانحراف الاقتصادي

يقصد الباحث بالانحرافات الاقتصادية كل تصرف خاطئ وتعامل غير صحيح للمال، سواءً في التعامل مع الكيل والميزان أو في التصرف مع أموال الآخرين.

ومن صور الانحراف الاقتصادي الغش والنقص في الكيل والميزان ووضع رؤوس الأموال في ايدي قلة من الناس ليحتكروا بها، كل ذلك من قبيل الانحراف الاقتصادي، وفي إشارة واضحة جداً وبالتحديد في قصّة أهل مَدين(٣) الذين نالوا العذاب نتيجة انحرافهم في قضيّة من أكبر وأهم القضايا التي تهم أفراد وجماعات مجتمعهم وهو قضيّة الكيل والميزان، قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ

---

(١) مكي القيرواني، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي–جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م): ٨/٥٣٨٠.

(٢) ينظر: حفني، د. عبدالحليم، التصوير الساخر في القرآن الكريم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط ، ١٩٩٢ م): ص ٩١، بتصرف.

(٣) مَدْيَن بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الياء، قال أبو زيد: مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى، عليه السلام، لسائمة شعيب، ومَدْيَن اسم القبيلة، ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ط ٢، ١٩٩٥م): ٥/٧٧ –٧٨.

أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾[هود: ٨٤].

ويعد قارون(١) رمزاً للاستبداد والانحراف الاقتصادي عبر التاريخ؛ إذ يضربه الله سبحانه وتعالى مثالاً ظاهراً في القرآن الكريم ويجعله أنموذجاً للفساد والانحراف المالي والاقتصادي؛ لأنه استغلَّ ثروته المالية التي جمعها لإفساد وانحراف معتقدات الناس، ويجرُّهم بذلك إلى زمرة فرعون الطاغية ويُحَبب إليهم ماهو فيه من التَنعّم مما حدى ببعض أفراد قومه يتمنّونَ ما عليه قارون من نعمة المال والجاه، وكذلك على ماهو وفرعون عليه من العقائد الوثنية التي تُألِّهُ البَشَر.

ولتحقيق مآربه أعدَّ قارون لنفسه موكباً فاخراً تجره الخيول لِيَتَباها به ولِيُعَظِّمَ نفسه في عيون قومه من بني إسرائيل ويريهم كبرياءه وما هو عليه وفرعون من مجدٍ وعزة ومكانة عظيمة في مصر، قال تعالى:﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص:٧٩]، (٢).

والذي يظهر للباحث أن الله عزّ وجلّ أرسل رسوله شعيب عليه السلام إلى قوم، يمثّلون الأنموذج الأسوء في الانحراف الاقتصادي، إذ يتجلى الانحراف الاقتصادي في قصّة قوم شعيب، وهم أصحاب مَدين، وقيل: مدين هي كفر مندة (٣) بعدما زعزعت عقيدتهم وضمر حسهم الإيماني وإنحسرت علاقتهم مع الله سبحانه وتعالى؛ فكان ذلك سبباً مؤدياً إلى الانحراف الاقتصادي؛ فالسلوك الانحرافي ظاهر من خلال نيل الشخصية المَرَضية لبلوغ أهدافها الملتوية التي تبغي نيل مطالبها والوصول إلى أهدافها بطرق كثيرة؛ وإن كانت تلك الطرق غير مشروعة، قال تعالى: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٢] وغالباً ما تُبنى على بخس الناس أشياءهم.

و قال تعالى:﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ*وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:٨٥-٨٦].

---

(١) ورد إسمُ قارون أربع مرات في القرآن الكريم؛ منها ماورد في سورة غافر الآية الرابعة والعشرون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٣-٢٤]، وفي سورة القصص الآيتان ٧٦و٧٩، وكذلك في سورة العنكبوت الآية التاسعة والثلاثون.

(٢) ينظر، الميداني، عبدالرحمن حسن حبنّكة، معارج التفكر ودقائق التدبر، (دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م): ٤٦٢/٩ وما بعدها.

(٣) كَفَرْ مَنْدَة: قرية بالأردن بين مكة والطبرية، قيل أنها مَدْيَن المذكورة في القرآن، للزيادة ينظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، (بيروت: دار صادر، د. ط ، د.ت): ص٢٤٩.

تدل الآية السابقة إلى إنكار شعيب عليه السلام الانحراف الاقتصادي المتجذّر في المعاملات التجارية في قومه، فدعاهم إلى الإيفاء بحق الآخرين، ونهاهم عن التبخيس.

ففي الآيتين الخامسة والسادسة بعد الثمانين تدور فيهما الصراع بين نبي الله شعيب عليه السلام وأبناء قومه عندما انحرفوا عن جادة الصواب؛ وذلك بميلهم عن طاعته عزّ وجلّ وشذوذهم عن معرفة نور العقيدة، فسلكوا طريق الفساد والانحراف في المجتمع وذلك بالغش والخداع في العين المباعة وبالبخس في الميزان، وإضافة إلى انحرافهم في الكيل والميزان كانوا يقفون على الطرقات ويسلبون الناس، فجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[الأعراف:٨٦]،" قيل هو نهي عن السلب وقطع الطريق، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يردّون الناس عن اتباع شعيب"(١).

يظهر من خلال النظر إلى قصّة شعيب عليه السلام مع مَديَن في القرآن الكريم، أن الآيات سجلت لهم الجرائم التالية: عدم الوفاء بالكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم التي كانت معهم، إضافة الى جلوسهم على الطرقات للتعرض للمارة، وكذلك توعدهم، وتهديدهم لهم، وسلب ما معهم من أموال ومِتع، وصد الناس عن سبيل الله (٢). وهناك صور كثيرة للغش في الكيل والميزان وفي التعاملات المالية، إذ تتجدد وتتنوع بتجدد وتنوع وسائل العيش وتقدم سُبُل المعرفة والعلم، والغشاشون لايتورّعون عن الغش في سبيل تنمية ملكيتهم وزيادة أموالهم، ويتخذون لذلك سُبلاً وطرائق لا حصر لها (٣).

ان آية التطفيف:﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[المطففين:١-٣]، تحثُّ على التدبر والتفكر، وان المطفف ليس هو البائع الذي يتلاعب بتطفيف الكيل والميزان فقط، بل يتعدى ذلك إلى معناه الواسع الشامل الذي يشمل أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية العامة؛ وهي لا تنطبق على البائعين فقط، بل إن معناها أشمل وأدق وأعم بكثير مما نتصوره؛ فالمطفف هو المهندس الذي لايتقن في عمله ويهمل في متابعة واجبه، وكذلك المطفف هو الطبيب الذي لايهتم بسلامة المرضى في المستشفى ويطلب منهم زيارته في العيادة الخارجية، والمطفف أيضاً هو ذلك المعلم أو المدرّس الذي يتقاضى راتبه الشهري كاملاً دون مراعاة ضميره في الشرح، ولايراعي الفوارق الفردية، ولا يَهتم إلاّ بأصحاب الدروس الخصوصيّة، والمطفف كذلك هو ذلك الموظّف الذي لا يأبه لمصالح الناس، ويكون خادماً أميناً لأصحاب الجاه

---

(١) ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ): ٢٩٤/١.

(٢) ينظر: الخالدي، د.صلاح عبدالفتاح (ت: ٢٠٢٢ م)، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (دمشق: دار القلم، ط ٣، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م)، ١٣/٢.

(٣) ينظر:الهاشمي، د. محمد علي، المجتمع المسلم كما يَبنيهِ الإسلام في الكتاب والسّنة، (بيروت: دارالبشائر الاسلامية، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م): ص ٢٦٨؛ وينظر: القرضاوي، د. يوسف، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م): ص٢١١.

وذوي النفوذ وهكذا، وعليه فان التطفيف في الكيل والميزان نوع من أنواع الغش التي حرّمها الإسلام، وجعل الرسول(ﷺ) فاعلها خارجاً عن الجادة الصحيحة والإسلام الكامل، وذلك بدليل قوله: «مَن غَشَّنا فَلَيسَ منّا»[1]، أي: ليس مِن أخلاقِنا وأفعالِنا ومَنهجِنا في الإسلام مَن يَخدَعُ النّاسَ، ويتَسبَّبُ لهم في الأذى.

ثانياً: الانحراف السياسي :

يعد الاستبداد والطغيان من الانحراف السياسي، ويظهر ذلك جليّاً في قصّة موسى عليه السلام مع فرعون، فكُلَّما خَطر ببال أحد الانحراف السياسي يتذكر فرعون واستبداده، إذ كان في أوج طغيانه السياسي الذي لم يشهد له مثيل عبر التاريخ الإنساني، حيث كان عنواناً بارزاً للطغاة والطغيان السياسي؛ وبطغيانه هذا بلغ أوج الانحراف عندما كان ملكاً لمصرَ التي كانت أكبر دولةٍ حينها؛ وقد قال فرعون كلمته المشهورة التي دلّت على طغيانه واستبداده، وقد خلّدَها القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الزخرف:٥١]؛ إذ كان الأجدر به أن يشكر الله تعالى على نِعَمِه الكثيرة عليه؛ ولكنه زاغ وفعل نقيضَ ذلك وأفصح ماكان ينويه من تكبّر واستبداد في الرأي﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[غافر: ٢٩]؛ وهذا منطقُ المستبدين والطغاة في كل زمان ومكان.

وكان الملك يُعَدُّ في مصر الفرعونية إلهاً يُعْبَدْ، وهذه الألوهية ليست رمزية أو مجازية تشير فقط إلى سلطته المطلقة، ومكانته السامية؛ بل هي تعبّر حرفياً عن عقيدةٍ مفادها تأليه الحاكم وإطاعته طاعة غير مقيّدة، وقد أعلنها فرعون صراحة : ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[النازعات:٢٤]،[2].

وليس من الضروري "أن يقف المستبِدّ ويعلن صراحة أنه رب البلاد وأنه إله الشعب، وإنّما يُعرَفُ ذلك من صلاحياته، ومن تصرفاته، ومن الصفات التي يُضْفيها على نفسه، ومن الألقاب التي يتّخذها، فالحاكم المستبِدّ يبدأ فيدّعي بأن البلد كله مُلكُهُ الشخصي، ويتصرف على هذا الأساس، وكأنّ الشعب مُلْكُهُ أيضاً، وعليهم الطاعة الكاملة لشخصه" [3].

والقرآن الكريم زاخر بالتوجيهات التي تدل على رفض الاستبداد والعمل على القضاء عليه من أجل انبعاث الحرية والشورى والعدل والمساواة ومن جملتها قول ملكة سبأ التي خاطبت أشراف قومها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ* قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ

---

(١) مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط ، د.ت): ٩٩/١، باب قول النبي ﷺ .

(٢) ينظر: إمام، د. عبدالفتاح إمام، الطّاغية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٩٧م): ص ٦٤.

(٣) سعيد، سعيد سليمان، النظام الإستبدادي وطرق معالجته في القرآن الكريم، (بغداد: ديوان الوقف السني، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م): ص ١٦٦-١٦٧.

أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[النمل: ٣٢-٣٤]، فهذه القصّة تعلّمنا كيف ينبغي أن تكون الشورى واستشارة أهل الاختصاص والمسؤولية حول القضايا المصيرية التي تمس حياة المجتمع وسيادة الدولة (١).

وقد أشار المفسرون إلى ذلك، فعندما جمعت ملكة سبأ مستشاريها من الأشراف والقادة وعرضت عليهم الأمر، وقالت لهم بيّنوا لي الأمر وأخبروني وأشيروا عليَّ، ولا أقضِ أمراً دونكم، وكان جواب بعض قادتها بأنهم أصحاب قوةٍ ولديهم خبرة بالقتال، ولديهم من العُدَدِ والعَدَدِ والسلاح مايكفيهم من المقاومة وحماية مدينتهم، وقالوا رغم ذلك لا نجاوز أمركِ، فأجابتهم: بأن الملوك إذا دخلوا مدينة على وجه القوة والغَلَبة أهلكوها وخرّبوها وأهانوا أشرافها وكبراءها، فهنا رأت الملكة من الحِكمَة إرسال هدية لسليمان عليه السلام لمعرفة حقيقته ولتبيان موقفه فإن كان من أهل الدنيا يقبلها ويرضى وإن كان غير ذلك لن يقبلها (٢).

وقد بيّن القرآن الكريم أنّ من أسباب فناء وهلاك الأمم والأقوام والحضارات هو الظلم والاستبداد، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾[يونس:١٣]،(٣).

ومن الملاحظ أن الأنبياء عليهم السلام أرسلوا إلى أقوامهم، يقول تعالى:﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ويقول سبحانه:﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[هود: ٥٠]، ويقول تعالى:﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾[هود: ٦١]، ويقول جلّ وعلا:﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[هود: ٨٤]، بينما أرسلَ اللهُ تعالى موسىعليه السلام إلى فرعون بسبب طغيانه وجبروته، قال تعالى في سورة طه:﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[طه: ٢٤] ، فبسبب الطغيان الذي تمادى به فرعون أرسل الله تعالى موسى وشاركه أخاه هارون عليهما السلام معه ليكون له عوناً وظهيراً في إيصال الرسالة إليه، قال تعالى: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي* اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه: ٤٢-٤٤] (٤).

---

(١) ينظر: الكواكبي، عبدالرحمن، طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد، تقديم، د. أسعد السحمراني، (بيروت: دار النفائس، ط ٣، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م): ص ٥١-٥٢.

(٢) ينظر: السمرقندي، أبو الليث (ت: ٣٧٥هـ)، تفسير السمرقندي = بحر العلوم ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م): ٤٩٥/٢.

(٣) ينظر: طهماز، عبدالحميد محمود، أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف، (بيروت: الّدار الشّامية، ودمشق: دار القلم، ط ا، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م): ص ١١٧.

(٤) ينظر: بهجت، أحمد، فرعون والطغيان السياسي، (بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م): ص ٧ وما بعدها بتصرف.

ويظهر من سياق الآية الكريمة أنّ الباري تعالى أمر موسى عليه السلام بالذهاب مع أخيه هارون عليهما السلام إلى فرعون مزوّدَينِ بالحجج والبراهين التي أعطاهما الله تعالى من العصا واليد البيضاء، وأرشدهما خلال ذلك التوجيه الربّاني بالنهي عن التقصير في حمل الدعوة إليه، بأن يَضعَفا في بيان وإيصال وعده ووعيده، فقال جلّ شأنه:﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾[طه: ٤٢]، وبيّنَ بعد ذلك لهما السبب والعلّة التي بعثهما إلى فرعون، فقال:﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[طه: ٤٣]، وهو الطغيان وتجاوز الحدّ والقدر، من كونه إنسان عليه أن يعبدَ الله إلى إنسان منحرف يدّعي انه رب وإله، وبعدها علّمهما الأسلوب الأمثل للدعوة معه فقال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾[طه:٤٤]، أي:"خالياً من الغلظة والجفاء وسوء الإلقاء، وعلّل ذلك بقوله:﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه: ٤٤] ، أي: رجاء أن يتذكر معاني كلامَكُما وما تَدعُوانِهِ إليه فيراجِعَ نفسَهُ فيؤمن ويهتدي أو يخشى العذاب المهين إن بقى على كفره" [(١)].

ومما يظهر للباحث إضافة إلى ما سبق، تضمنت الآية الكريمة :﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ على وجازتها عدداً من قواعد التنمية البشرية التي تساهم في بناء الذات وتعزيز مهارات النجاح في الحياة، فكلمة:﴿ اذْهَبْ﴾ للتأكيد على النشاط والحركة وكذلك السعي والعمل، أما كلمة: ﴿أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ للدلالة على استثمار الموارد البشرية فضلاً عن العمل الجماعي المنظّم، أما لفظة:﴿ بِآيَاتِي﴾ تأكيد للتوجيه إلى المنهجية والعلمية بعيداً عن الارتجالية والغوغائية، وتدل لفظة:﴿وَلَا تَنِيَا﴾ للإشارة إلى أهمية المثابرة والمتابعة والتقييم المستمر؛ بينما تشير كلمة:﴿ فِي ذِكْرِي﴾ إلى بيان دور التوكل على الله والاعتماد عليه سبحانه وتعالى في جميع الأعمال.

(١) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط ٥، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م): ٣/٣٥١.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وفي خاتمة البحث نخلص إلى النقاط التالية: –

١. القتل انحراف خطير على المجتمع، فالبغي والاستطالة على النفس البشرية الواحدة وإراقة دمها ظلماً، يُعدُّ تعدياً وانتهاكاً على جميع الناس.
٢. الإسلام يؤكد على تماسك المجتمع وطهارته، وَوَضَع قيم ومعايير وتعاليم وتشريعات للحفاظ عليه.
٣. بيّن القرآن الكريم أنّ من أسباب فناء وهلاك الأمم والأقوام والحضارات هو الظلم والاستبداد، قال سبحانه وتعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ [يونس: ١٣].
٤. تُعَد القصّة القرآنيّة وسيلة عظيمة من وسائل القرآن الكريم لتصحيح المفاهيم العقدية لدى البشرية.
٥. سلك القرآن الكريم نهج ترسيخ العقيدة السليمة في النفوس؛ فأكثر من استخدام القصّة في مواضِعَ شتى باعتبارها من الأساليب المحببة في تربية النفوس.
٦. تعد قضيّة الانحرافات العقديّة من أهم القضايا التي تطرقت القصّة القرآنيّة إلى طرحها ومعالجتها.
٧. الشهوة الجنسية المحرمة انحراف أخلاقي سلوكي؛ والانجرار وراء شهوة الجنس المحرّم ما هو إلاّ انحراف أخلاقي سلوكي يدل على عدم السيطرة على كبح جماح الشهوة وإخماد هيجانها بالطرق المشروعة.
٨. الشذوذ حالة مَرَضيّة خارجة عن الفطرة، وقد حذّر الله تعالى قوم لوط من هذا التصرف الذي هو نوع من أنواع الانحرافات الأخلاقية، والبعيدة كل البُعد عن القيم الإنسانية التي فطرها الله البشرية عليها.
٩. أخذَ الحوار في القصّة القرآنيّة مكانة بارزة، ويمكن القول بأن الحوار يشكّل المحور الأساس.
١٠. قوم شعيب، يمثّلون الأنموذج السيء في الانحراف الاقتصادي، إذ يتجلى ذلك في بخس الكيل والميزان في قصّة قوم شعيب.
١١.